

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التعدد الدلالي والتأويل في النص الأدبي الأندلسي "ابن خفاجة" أنموذجا

Semantic pluralism and interpretation in the Andalusian literary text “Ibn Khafaja” as an model

نورة حاكمي ¹ nora hakmi ، كريبع عطاء الله ² attallah kouribaa

¹ طالبة دكتوراه، جامعة عمارثليجي الأغواط، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها، مخبر اللغة العربية وآدابها

Doctoral student, Ammar Thilighi University of Laghouat, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, Laboratory of Arabic Language and Literature.

no.hakmi@lagh-univ.dz

² أستاذ محاضر، جامعة عمارثليجي الأغواط. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. مخبر اللغة العربية وآدابها

Professor Lecturer A...Ammar Thilighi University of Laghouat, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, Laboratory of Arabic Language and Literature

a.kouribaa@lagh-univ.dz.

المؤلف المراسل: نورة حاكمي nora hakmi الايميل: no.hakmi@lagh-univ.dz

تاريخ القبول : 2024/04/06

تاريخ الاستلام: 2023 /12/24

ملخص :

تتمحور هذه الورقة البحثية حول الانفتاح الدلالي وحدود التأويل في النصوص الأدبية ، بحيث أصبح علم التأويل الذي يقوم على قطبين هما (القارئ) و (النص) وهو الذي يهتم بتأويل النصوص الأدبية وتقديم معان جديدة لها بالاعتماد على العلوم اللغوية الأخرى ، إذ نجد أن النص الإبداعي متعدد المعاني من خلال المنهج التأويلي الذي يفتح على الفهم وإنتاج تأويلات من خلال تعدد القراء .

والهدف من هذه الدراسة نحاول أن نبين أهمية التأويل في النصوص الأدبية ولاسيما النص الشعري الأندلسي وعلاقتها بالقارئ على ضوء جمالية التلقي ، و كذا التركيز بصفة خاصة على القارئ باعتباره المتلقي الأول ، لأنه أصبح العنصر الفعال في معادلة العملية الإبداعية .

الكلمات المفتاحية: التعدد الدلالي - النص الأدبي - التأويل -

Abstract:

and the limits of interpretation in literary texts, so that the science of interpretation, which is based on two poles, is (the reader) and (the text) and it is he who is interested in interpreting literary texts and providing new meanings to them based on other linguistic sciences, as we find that the creative text Multiple meanings through an interpretative approach that opens up to understanding and producing interpretations through multiple readers.

The aim of this study is to try to show the importance of interpretation in literary texts, especially the Andalusian poetic text and its relationship to the reader in the light of the aesthetic reception, as well as a special focus on the reader as the first recipient, because it has become an effective component in the equation of the creative process.

Keywords: Semantic multiplicity - literary text – interpretation

مقدمة:

لقد توسعت التأويلية من الهرمنيوطيقا (فن التأويل) إلى التأويلية (علم التأويل) حيث كان ذلك مع بزوغ فجر النظرية الأدبية والنقدية المعاصرة ، مع وجود علاقات دقيقة ومتشعبة مع العديد من المناهج النقدية المعاصرة كتحليل الخطاب و علم النص و السميوطيقا الأدبية بما في ذلك دراسة النصوص الأدبية وتأويلها فأصبح علم التأويل الذي يقوم على قطبين هما (القارئ و النص) باعتبار أن النص قد ينفث على جملة من القراءات انطلاقا من أن النص له إمكانات تأويلية التي من خلالها يستطيع القارئ فك الرموز والكشف على دلالات الكامنة فيه .

إذن فالتأويل هو مفتاح المعنى المتواري و الخفي وراء العبارات الظاهرة والخفية ، وبناء على ذلك نجد أن التأويل استمد إستراتيجيته من ماضي الفكر الإنساني ليبقى متحركا دوما ومتفتحا على الأزمان و متاح على مجموعة من الفضاءات فشهدته الثقافات القديمة. بالإضافة على أن النشاط التأويلي عرف في مساره الطويل بتحوّلات حسبت لفائدته، أي أنه تحوّل من بؤرة الرّمزي المجرد إلى الرّمزي المجسّم والمجسّد وانفكّ ارتباطه بالنصّ المقدّس ليعانق دائرة واسعة من ضروب النّصوص دينيّة كانت أو تاريخيّة أو فنيّة أو أدبيّة أو غيرها...

ومن هنا نطرح الإشكاليات التالية :

ما هو مفهوم التأويل؟

هل يمكننا قراءة النصوص التراثية وفق المناهج الجديدة ؟
كيف يمكننا الكشف عن المعنى من خلال التأويل في النص التراثي ؟

وللإجابة على هذه الإشكاليات و التساؤلات اعتمدت على منهج القراءة والتأويل مستفيدين بما في ذلك من المنهج الأسلوبي.

وتحقيقا لهذا اعتمدنا على خطة تضمنت ثلاث محاور :

المحور الأول : الانفتاح من النسق المغلق إلى النسق المفتوح
" ما بعد البنيوية".

المحور الثاني : إستراتيجية التأويل و انفتاح المعنى .

المحور الثالث : قراءة في شعرا بن خفاجة " مقاربة تأويلية"

مفهوم التأويل :**أولا- لغة :**

لقد تعددت التعاريف اللغوية حول التأويل، فقد أوردها "صلاح عبد الفتاح" في مؤلفه بأنه : " مصدر على وزن (تفعيل)

، من أوّل ، يؤوّل ، تأويلا ، ومادة الكلمة هي (أول) ¹ ووردت في " معجم مقاييس اللغة " ل "أبي الحسين أحمد بن فارس": أن (أول): أصلان هما : ابتداء الأمر و انتهاءه ، من استعماله في الابتداء ،قولك : الأول وهو مبتدأ الشيء ومن استعماله في الانتهاء قولهم : الأيل ، وهو الذكر من الوعول ، وسعى أَيْلا لأنه يؤوّل إلى الجبل وينتهي إليه ، ليتحصن فيه .

وقولهم آل ، بمعنى : رجع

و الإيالة : السياسة ، لأن مرجع الرعية إلى راعيها .

وآل الرجل : أهل بيته ، سموا بذلك لأن مآلهم ومرجعهم و انتهاءهم إليه ، كما أنهم هم ابتداءه ، والأول : بمعنى الانتهاء و المرجع ، وتأويل الكلام : عاقبته ، وما يؤوّل وينتهي إليه" ².

إن المعنى الجامع الأصلي للتأويل هو الرد والرجوع إلى الأصل ، ويكون تأويل الكلام رد معانيه و إرجاعها إلى أصلها الذي تحمل عليه ، ويجب أن تنتهي إليه" ³

فهذا التعريف لا يختلف عن التعاريف الأخرى كلها تصب في قالب واحد ، لأنها كلها تشير إلى اشتقاق الكلمة وما تدل عليه .

ونجد أن كلمة "تأويل" وردت في القرآن عدة مرات :

قوله تعالى : " بل كَذَّبُوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ " ⁴،

وأیضا قوله تعالى : " وما يعلم تأويله إلاّ الله " ⁵ في حين أن كلمة تفسير لم ترد سوى مرة واحدة ، فكلمة تأويل كانت أكثر دورانا في اللغة بشكل عام وفي النص بشكل خاص ، من دوران كلمة تفسير و علة هذا الانتشار ومرجعه هو أن التأويل كان مفهوما معروفا في الثقافة قبل الإسلام ، ارتبط بتفسير الأحلام أو تأويل الأحاديث" ⁶ أي أن التأويل يأخذ معنى التفسير الذي هو في حقيقة الأمر يدل على الوضوح والكشف عن ما هو متخفي .

ثانيا- اصطلاحا :

هناك أكثر من مفهوم اصطلاحي للتأويل إذ جاء في كتاب "دليل الناقد الأدبي " أن التأويل : " هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل و إعادة صياغة المفردات و التراكيب، وهو توضيح مرامي العمل الفني ككل ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة " ⁷ يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن التأويل يعمل على استخراج المعاني و الكشف عن ما هو

ولعل الأمر الذي قد نلاحظه في المناهج السياقية و النسقية نجد أنها ركزت على ثنائية (النص و المؤلف) في إطار العملية الإبداعية و أهملت عنصر أساسي في هذه العملية وهو (القارئ)، وهذا الأخير أصبح له وجود ضروري في العمل الإبداعي، وفي هذا ظهرت نظرية نقدية مع بزوغ القرن العشرين، وسميت "بجمالية التلقي" التي جاءت كرد فعل على الدراسات النصية التي أعلنت من سلطة النص، و جعلت المعنى حبيسا لأنساقها، أي أنها اهتمت ب (القارئ) وعلاقته ب (النص) الأدبي، بعيدا عن ثنائية (المؤلف و النص) التي اهتمت بها المناهج القديمة و أهملت دور القارئ في تلقي النصوص الأدبية و تأويلها، أي الانفتاح على الذات المتلقية للدخول في فضاء التحليل و إعادة الاعتبار إلى القارئ، ويشير إليه "عبد المالك مرتاض:" بالقارئ تكتمل صورة الكتابة وتبلغ منتهاها، سواء كانت إبداعية أو نقدية أو تاريخية"¹⁰ العملية الإبداعية = المؤلف + القارئ + النص

ومن هنا سأحاول أن أبين أهمية التأويل لحظة قراءة النصوص الأدبية و علاقتها بسلطة القارئ من مؤول رمزي للنص إلى مؤول يبحث عن مقاصد المؤلف المضمر إلى مؤول بصفته قارئاً، والنص بصفته جسراً بين القارئ والمؤلف تتم عليه القراءة، كل هذا وفق جمالية التلقي و ما أتى به أصحاب الفكر الألماني وما قدموا من رؤى جديدة من أجل التعامل مع النصوص الأدبية بذكاء و كذا التركيز بصفة خاصة على القارئ باعتباره المتلقي الأول.

وتعد مدرسة **constance** من أهم المدارس التي أبرزت أهمية القارئ في عملية الاتصال و تأويل النص، فهي أولى المحاولات الكبرى لتجديد دراسات النصوص على ضوء القراءة، فالقراءة فعل جمالي، وليست مجموعة من القراءات الفردية المنعزلة وهي حصيلة أو متلقي تأويلات وعائي ودلالات تندرج في نسق قيمي ومعيارى وتصوري لجماعات اجتماعية معينة، تجمعهم علاقات تلقي أدبي و ثقافي.¹¹، فالقارئ أصبح له دور مهم في تشكيل النص و تأويله وهذا يتجاوز النسق اللغوي المغلق إلى فتح باب التأويلات الدلالية الغير منتهية، ويفضلها ستولد نصوص أخرى فتكون القراءة قراءة إنتاجية و يصبح القارئ فاعلا يضمن للنص الاستمرارية.

التأويل و انفتاح المعنى:

غامض بواسطة اللغة عن طريق عملية التحليل للنصوص الفنية الإبداعية، وذكر أيضا في معجم المصطلحات العربية إن التأويل: "هو طريقة خاصة لتأويل ما يقرؤه المرء لنص فهمه غيره فهما مختلفا"⁸ ويتضح من هذا التعريف أن التأويل ذو وجه متعدد، أي هو القراءات المتعددة التي تتم على نص أدبي باعتبار أن القراءة تأتي بمفهوم التأويل، فمثلا حينما نقول: "قراءة جديدة في قصيدة الجبل لابن خفاجة بمعنى تأويل جديد له.

إذن فالتأويل هو الاشتغال على الفهم لفك الرموز، ونجد أن "ريكو" يرمز إلى كلمتي: التفسير و التأويل، على أن الكلمة الأولى تعني الجهد الذي نقوم به في إرجاع معنى ظاهر ومجازي إلى معنى باطن أو حقيقي، في حين الثانية: هي ذات حمولة فلسفية بما أنها تهدف إلى الإمساك بالكائن من خلال تأويل تعبيرات جهدي من أجل الوجود.⁹ لهذا يجب على القارئ أن يتعمق في النص لإظهار ما هو مخفي وكذا الكشف عن الدلالات الكامنة في النص، وفي هذا نجد أن هناك بعض النظريات قد ربطت بالسياق الخارجي وهي النظريات السياقية التي اهتمت بمقاصده، والكثير ممن ساروا على هذا الركاب أمثال سانت بييف و كارل غوستاف يونغ و سيغموند فريد عمدوا إلى تطبيق بعض المناهج النقدية مستعينين بالسياق الخارجي لفهم النص، ومن بين هذه المناهج المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي، طبعاً نلاحظ أنها حققت نتائج في توليد الدلالات واستخراج المعنى الذي تتضمنه النصوص.

الانفتاح من النسق المغلق إلى النسق المفتوح "ما بعد البنيوية":

لقد حاولت ما بعد البنيوية أن تتجاوز الأخطاء التي وقعت فيها البنيوية (الانغلاق، المعيارية، الأحادية...)، مما أدى إلى ظهور نقاد تمردوا على هذه النظريات كونها تدعو إلى جعل النص أسيراً لصاحبه ويبقى على سلطة الكاتب، من بينهم رومان جاكسون و مخائيل باختين و رولان بارث وتمثلت مناهجهم في الشكلانية الروسية والبنيوية والتفكيكية، واعتمدوا في نظريتهم على التحليل النسقي، فهذه النظرية تقوم بتحليل النصوص الأدبية كبنية مغلقة بعيدا عن كل ما له علاقة بالنص، لا ننكر هذه المناهج في توليد الدلالات من مختلف النصوص، لكنها بمساعدة من القارئ الحذق الذي يعمل على الغوص في أعماق النصوص الإبداعية.

قراءة في شعر ابن "خفاجة" مقارنة تأويلية:

لقد عرف النص الأدبي نقلة نوعية من خلال بروز اتجاهات ما بعد البنيوية مؤسسة مبادئها على ضرورة انفتاح قراءة النصوص الأدبية وتأويلها وتعدد الدلالات، باعتبار أن ما يتركه المؤلف من فراغات وبياضات تفتح أمام المتلقي آفاق واسعة للتأويل والتحليل وإنتاج المعنى من جديد.

وهذا ما لاحظناه في النصوص التراثية بحيث نجد أن الشاعر لا يغفل عن تنبيه القارئ، ولعل من بين هؤلاء الشعراء الذين لفتوا انتباه القارئ في عملية التلقي "ابن خفاجة" هذا الشاعر الذي حظيت قصائده بتصوير فني الذي هو عبارة عن جرس يدق في أذن القارئ ذات السمع المرهف لاكتشاف المعنى الخفي، كيف لا وهو نشأ في أحضان الأندلس التي منحها الله طبيعة فاتنة، فكانت أغنى منظرا وأوفرها جمالا، ترتفع فيها الجبال الخضراء وتمتد في بطاحتها السهول الواسعة، وتجري فيها الجداول والأنهار وتغرد على أفنان أشجارها العنادل والأطيوار... وقد تحدث عن جمالها كل من حل بها¹⁵ فكانت مصدر ألهام الشعراء فاهتزت أحاسيسهم لطبيعتها الساحرة وانسياب جدالها، فلجأوا إليها وتغنوا منها صورهم الفنية وأصبح الإبداع حليفهم، لهذا نجد أن القارئ لمثل هذه النصوص لا يعد مجرد قارئ سلبي بل هو محلل النص الإبداعي، أي هو قارئ حقيقي يدرك النص بفطنته وخبرته الثقافية التي تجعله يستحوذ على النص من خلاله حوار الذي يريد به استنطاقه، ليصبح القارئ شريكا رئيسيا مع المؤلف ومتفاعلا ومنجدا دون غيره.

نجد أنه اعتمد على الاستعارات بكثرة في شعره خصوصا في قصيدة "الجبل" حيث يتمثل جمالها في حذف المشبه به، هنا نجد أن يعتمد على كسر بنية "توقع القارئ"، حيث توجد بعض الإنزياحات بين "الجبل" والصفات المستعارة له، كل هذا يعتبر عمل تحفيزي للمتلقى وهذا باعتبار الجبل عنصر من عناصر الطبيعة.

وقوله في قصيدة الجبل:

وَأَزَعُنْ طَمَاحُ الدُّوَابِّ بِأَذْخٍ *** يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبٍ
وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ **** طَوَالَ اللَّيَالِي مُفَكِّرِي

العَوَاقِبِ

يُلَوِّثُ عَلَيْهِ الْعَيْمُ سَوْدُ عَمَائِمٍ **** لَهَا مِنْ وَمِضِ الْبَرْقِ

حُمُرُ نَوَائِبِ¹⁶

لقد أشارت بعض الدراسات السابقة أن معظم الاتجاهات النقدية الحديثة تجمع على منح القارئ دورا كبيرا من أجل إنجاح العمل الإبداعي الذي يقرؤه هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن النص لا بد له أن يخضع لبنية قائمة على قوة الذات التي تؤوله، إذن فالنص عندما يكون على هذا الحال فإنه يبقى مفتوح دائما على جميع التأويلات مما يسمح له بالديمومة والإستمرارية، فكلما تجددت القراءة تجدد التأويل وبين ذلك وذلك ينتج نسج جديد.

وهذا ما جعل القارئ يكتسب اتجاهات ونظريات لها دورا إيجابيا نشطا، حيث أصبح القارئ منتجا، كلما فاضت قراءته اقترب نحو المعنى، وعندما يصل القارئ إلى هذه المرحلة يصبح صاحب النص طرفا غائبا، لا يحضرنا ذكره إلا في سياقات خاصة، ومادامت معاني النص متعددة بتعدد قرائه فإنه من الصعب القبض على المعنى الذي قصده الكاتب مما قد يحدث التخييب أو الاستجابة لدى المتلقي، أي "أن تشييد معنى النص يتطلب من المتلقي إستراتيجية تأويلية تلهم إشارات المتن، وبالتالي يصير الظفر بالمعنى أشبه بالعثور على ذات القارئ عبر استدعاءات المعطل والمكسور فيه لحظة القراءة، مادام زمن التلقي هو زمن ولادة المعنى"¹²، ومن هنا يمكننا القول بأنه عند انفتاح النصوص يتم الكشف عن الدلالة الباطنية المتخفية وكذلك فك الشفرات النص لحظة القراءة، فالمعنى المتخفي لا يستظهر منذ الوهلة الأولى بل ينشأ نتيجة التفاعل الذي يحدث بين النص والقارئ

إذن فالتأويل كما ذكره "مصطفى ناصف": "هو أن تفهم النص فهما مختلفا عن النص من بعض الوجوه، أي البحث عما لم يقله النص، ولم يفكر فيه، ولكنه يعيش من وراء كلماته"¹³، وهذا ما لجأ إليه "هايدجر" وقام بتحويل التأويل إلى مكانه الجوهرى من الوجود، وجعل التأويل والكلمة سر الخروج، وسر الوجود، وسر الكشف الذي لا يزول، في ظل هذه التأملات، وجعل من الطابع الوجودي للفهم أداة لإعادة تقدير اللغة والعمل الفني والفلسفة وتأويل النصوص¹⁴. وبذلك فإن التأويل هو علم يهتم بتأويل النصوص الأدبية ويستمد مشروعيتها من النص ومن علاماته الأسلوبية. ولا يمكن أن نعتبره موضوع النص هو المحور الأساس في إنتاج المعنى النهائي بالرغم أنه يقدم معان جديدة، بل هناك إشارات يبني عليها القارئ فرضياته وتصورات الأولوية لإنتاج المعنى.

هنا كما يقول " إدريس بلمليح أنه استخلاص من النص الفني تواصل تفاعلي بين المنتج والمتلقي.¹⁹ ونلاحظ في تشبيه آخر اعتمد فيه الشاعر على التشبيه البليغ من أجل خلق انزياح فقط من أجل كسر بنية توقع القارئ ، ليخلق الدهشة الجمالية ويفتح باب التخيل قوله :

مَثَلُ الْجَبَابِ بِمَنْحَنَاهُ نَوَابَةٌ *** خَفَافَةٌ حَيْثُ الرَّبِّيُّ أَكْفَالٌ²⁰
يصف حركة النهر ، و يعتمد في ذلك إلى تشبيه " الجدولين " كأنهما يد يمين قابلهما يد شمال في قوله :

مَا بَيْنَ رَوْضَةِ جَدُولَيْنِ كَأَنَّمَا *** بَسُطَتْ يَمِينُ مَنَّهُمَا وَشِمَالُ²¹

إذن فالصورة الشعرية التي أبدعها الشاعر هنا احتضنها القارئ لأن الشاعر هنا صرح بأداة التشبيه (كأنما) ومثل هذا الصور تفتح المجال أمام المتلقي حتى يعمل على إثارة مخيلته ويقوم القارئ باحتضانها من أجل الكشف عن مغاليق النص باستخدام آلياته القرائية، "فالنص أصبح هما مؤرقا ، و أصبحت فيه عملية القراءة للنصوص الإبداعية عملية شاقة تحتاج إلى قارئ حاذق ، وليس كما كان مجرد بستان وارف الظلال يقصده المرء طلبا للراحة"²²، وكان القارئ هو الذي يتقمص دور المخبر أو المتحدث .

أيضا ما يلفت انتباه القارئ توظيف الشاعر للألوان وكأنها يرسم لوحة فنية ،

ويقول صنوبري المشرق في خطاب الموت :

يُلَوِّثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ *** لَهَا مِنْ وَمِيزِ الْبَرْقِ حُمْرُ²³

ذوائب

لهذا يلجأ شعراء الأندلس إلى توظيف الألوان في نصوصهم الشعرية باعتبار أن اللون يمثل شخصيته و الدلالة النفسية، حينما يسعى فيها إلى الجمع بين لونين (السود والحمرة) تتشكل قيمة جمالية، ومنها يكون "ابن خفاجة" قد جمع بين الدلالة المضمرة والدلالة الظاهرة حتى يستطيع تحقيق وظيفة جمالية وشعرية في متن نصه الشعري ، بالإضافة إلى الخلطة الذهنية التي تثير ذهن المتلقي، كما يظهر قلق الشاعر من الموت رغم أنه مؤمن بأحقيته إلا أنه يثبت للمتلقى السعي و البقاء على قيد الحياة من من خلال الألفاظ التي وظفها وتشكلت في شعره .

ولجأ الشاعر إلى طرح تجربته مع الحياة باتخاذها رمزية " الجبل " وكأنه معادلا دلاليا لشخصيته شخصا حياته في صور استعارية تعمل على خرق أفق التوقف غير التي اعتاد عليها القارئ، موظفا إياها في صور حية تتفاعل مع الذات الفاعلة حينما جمع بين الجبل وكأنه شيخ كبير السن يرتدي العمامة السوداء هذا السواد الذي يدل على الحياة الحزينة التي يحياها الشاعر ، وبين الوقور و المفكر ، ويقول "إدريس بلمليح " : أن الاستعارة لا يمكن أن تفهم على أساس كونها ظاهرة معجمية مفردة ، و أنها حين تتركب مع غيرها من وحدات سياقية إنما تحيل إلى دلالة تخيلية تستخلص منها هذه الوحدات في إطار من التفاعل القائم بينها ...، فهو يقصد من ذلك إلى فعالية تخيلية وجمالية لا يمكن أن يستوعبها المتلقي إلا عن طريق موازنة فعلها برّد فعل متجانس معها"¹⁷ ، وهذا ما لجأ إليه الشاعر حينما استعان بعنصر من عناصر الطبيعة وألبسها صفات الإنسان .

هنا الشاعر استخدم ألفاظ كلها في خدمة الجبل أي من أجل وصفه وصفا بلاغيا .فمثل هذه النصوص الإبداعية نجدها تسلم بأن المعنى الأدبي تتضمنه الكلمات المسطرة من أجل راحة المتلقي .

وقوله أيضا :

يصف دار الخلد من "ماء" و وظل و أشجار ...

يَا أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ ، لِهَذَا دَرْكُكُمْ ؟ *** مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ *** وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ¹⁸

فالتأمل لهذه الأبيات يكشف أن أهل الأندلس كانوا يعيشون حياة الترف وهذا ما أدى إلى ازدهار الطبيعة .، حيث قام الشاعر بذكر أبرز عناصر الطبيعة ، لأنها تبرز من خلاله القيمة الجمالية فالشاعر الأندلسي حاول نقل ألفاظ الطبيعة إلى توظيفها في أشعاره ، فقط من أجل أن تبدو القراءة ذات عذوبة ورقة .

حتما هذا نجده عند الشعراء المبدعين أمثال " ابن خفاجة" الذين كان لهم إقبال على وصف الطبيعة ليستمد منها صوره ومعانيه، فلا يخفى علينا أن شعراء الأندلس افتتنوا بالطبيعة وبجمالها ، لأنها تمثل الثبات و الخلود في أذهانهم، وهذا ما وجدناه في النص الخفاجي وبالأخص في "قصيدة الجبل" التي لجأ الشاعر فيها إلى اختيار وصف "الجبل" لأنه من الطبيعة على عكس وصفه إنسان أو حيوان الذي ينتهي به إلى الفناء .

النص وينتج نص جديد، البحث عن القارئ الذي أحدث صراعا بينه وبين سلطة المبدع، بالإضافة إلى علاقته مع النص وما أحدثه من تأثيرا على فنيات القراءة، أما النص فهو الذي يحمل دلالات واسعة يبنى عليها المعنى والتي من خلالها يسمح له بالانفتاح و التعدد من خلال الاختلاف و الاحتمالات التي يقدمها القارئ .

خاتمة :

وما نستنتجه أن هذه النظرية جاءت لتؤسس بعدا جماليا للنص، يتمثل في قراءة النص الأدبي من خلال إضافة عناصر جديدة لمكونات العملية الإبداعية، والكشف عن أمور جوهرية عند تفسير وتأويل النص، من خلال تركيزها على العنصر الأساسي وهو القارئ، ونوجز هذا في نقاط :

أن المبدع والنص و المتلقي ثلاثية أصبحت تشكل عنصرا مهما في العملية الإبداعية .
اهتمام نظرية التلقي بشكل أساسي على عملية استقبال النص وتأويله من قبل المتلقي .
استدراج القارئ للنص لدائرة حدثية ، من أجل ممارسة تذوقه .

مفهوم أفق الانتظار يجعل القارئ في عملية بحث متواصل يجهد فيه عقله أثناء القراءة .

قائمة المراجع :

القرآن الكريم " رواية ورش عن نافع"

- 1- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، تعريف الدارسين لمناهج المفسرين، ط1 ، دار القلم (دمشق) ، 2002م .
- 2- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج01، ب. ط ، دار الفكر ، سوريا، 1979م.
- 3- محمد علوش ، دلالات التأويل في الفكر العربي المعاصر، شبكة الضياء للمؤتمرات و الدراسات(المغرب) ، 2015 ،
- 4- ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط01، المركو الثافي العربي ، بيروت، 1995م .
- 5- معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، وهبة مجدي، مكتبة لبنان ، 1984م.
- 6- حسن بن حسن ، النظرية التأويلية عند ريكو ، ط1 ، دار تنمل للطباعة و النشر (مراكش) ، ، 1992م .
- 7- عبد المالك مرتاض ، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثير ، ط1، دار الحداثة (بيروت)، 1981م .

أيضا ما يلفت انتباه القارئ في قصيدة "الجبل" جمالية التكرار التي وظفها هذا الشاعر المبدع، يقول الشاعر :

فما كان إلا أن طوتهم يدُ الردى *** وطارت بهم ربح النوى
والنوائب²⁴

فما خفق أيكي غير رجفة أضلع *** ولا نوح ورقي غير صرخة
نadb

وما غيَّض السلوان دمعي وإنما *** نزفت دموعي في فراق
الصواحب

فحتى متى أبقي ويظعنُ صاحبُ *** أوْدَع منه راحلا غير
أيب

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرا *** فمن طالعٍ أخرى الليالي
وغارب²⁵

لقد جسد الشاعر هنا رؤية خيالية حين صنف "الجبل" وكأنه ذلك الصديق القريب منه وجعل منه شخصية تتقاسم معه ألامه وأماله، من خلال وظيفة التكرار التي اعتمدها في خطابه حتى يقدم وصفاً دقيقاً لحالته النفسية، و أن يوصل بصدق ما يشعر به إلى المتلقي فيشاركه غربته، و يقاسمه ألمه، و تلك غاية المبدع أن يجد من يفهمه، وبالتالي يستنتج المتلقي القيمة الصوتية الدلالية من خلال تجربته الشعرية، كما أنه يمنح نصه لونا فنيا جماليا بالإضافة إلى الإيقاع المتشكل نتيجة توالي هذا التكرار .

ويعد توظيف أسلوب الاستفهام من الأساليب هي الأخرى التي تُلَفِتُ نظر المتلقي ، ويقول الشاعر :

وما غيَّضُ السلوانُ دَمْعِي وَإِنَّمَا *** نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فُرَاقِ
الصَّوْاحِبِ²⁶

ينحصر أسلوب الاستفهام في النصوص الشعرية التي يصف فيها الشاعر حالته وبشخصها بالطبيعة ويود ترسيخها وتثبيتها في ذهن المتلقيين لأن مثل هؤلاء الشعراء يعتبرون أن الطبيعة نقطة انطلاق يتكأ عليها حتى يستطيع التحدث عن حياته، إذن فتوظيف أدوات الاستفهام هي في حد ذاتها فكرة قائمة على منطق السؤال والجواب لدى المبدع .

ويتضح لنا من خلال ما تقدم ذكره أن نظرية القراءة أولت اهتماما كبيرا بالقارئ ، بعدما كان الاهتمام منصبا حول المؤلف ولاسيما في المناهج ما قبل البنيوية، هذه المناهج التي فتحت الآفاق أما الكثير من النقاد و الدارسين للبحث عن القارئ وليس أي قارئ بل القارئ الذي يستنطق النصوص من خلال العلامات أو التأويل، كما أنه يسعى إلى فتح مغاليق

- 8- محمد عبد البشير مسالتي ، محاضرات في نظريات القراءة و التلقي ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة سطيف 2 (الجزائر) ، 2014-2015 م .
- 9- دندوقة فوزية ، التأويل وتعدد المعنى ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، العدد4، 2009 م .
- 10- مصطفى ناصف ، نظرية التأويل ، ط1 ، النادي الأدبي الثقافي (السعودية) ، 2000 م .
- 11- جودة الركابي: الطبيعة في الشعر الأندلسي، مكتبة الأطلس، دمشق، 1970 م .
- 12- ابن خفاجة ، الديوان ، تحقيق : سنده عبد الإله ، دار المعرفة ، (بيروت)، 2006 م .
- 13- إدريس بلمليح ، المختارات الشعرية و أجهزة تلقمها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام ، ط1 ، منشورات كلية الآداب بالعلوم الإنسانية (المغرب) ، 1995 م
- 14- إدريس بلمليح ، القصيدة التقليدية وقراءتها ، مطبعة أبي رقرق ، منشورات زاوية ، 2009 م .
- 15- عبد الحميد هيمة ، النص الشعري بين النقد السياقي و النقد النسقي "قراءة في إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر " ، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي يومي 10/09 مارس ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011 م ،
- .الهوامش:

- ¹ صلاح عبد الفتاح الخالدي ، تعريف الدارسين لمناهج المفسرين، ط1 ، دار القلم (دمشق) ، 2002، ص25
- ² ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ص98، 100
- ³ صلاح عبد الفتاح ، مرجع سبق ذكره ، ص26
- ⁴ سورة يونس الآية 39
- ⁵ سورة آل عمران الآية 7
- ⁶ محمد علواش ، دلالات التأويل في الفكر العربي المعاصر، شبكة الضياء للمؤتمرات و الدراسات (المغرب) ، 2015، ص10
- ⁷ ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت، 1995 م . ص 88
- ⁸ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، وهبة مجدي، مكتبة لبنان ، 1984 م . 287
- ⁹ حسن بن حسن ، النظرية التأويلية عند ريكو ، ط1 ، دار تنمل للطباعة و النشر (مراكش) ، 1992، ص15
- ¹⁰ عبد المالك مرتاض ، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثر ، ط1، دار الحداثة (بيروت)، 1981 م ، ص 05
- ¹¹ محمد عبد البشير مسالتي ، محاضرات في نظريات القراءة و التلقي ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة سطيف 2 (الجزائر) ، 2014-2015، ص 9
- ¹² دندوقة فوزية ، التأويل وتعدد المعنى ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، العدد4، 2009، ص 05
- ¹³ مصطفى ناصف ، نظرية التأويل ، ط1 ، النادي الأدبي الثقافي (السعودية) ، 2000 ، ص89
- ¹⁴ مصطفى ناصف ، نظرية التأويل، ص 99
- ¹⁵ جودة الركابي: الطبيعة في الشعر الأندلسي، مكتبة الأطلس، دمشق، 1970، ص 22.
- ¹⁶ ابن خفاجة ، الديوان ، تحقيق : سنده عبد الإله ، دار المعرفة ، (بيروت)، 2006 م ، ص48
- ¹⁷ إدريس بلمليح ، المختارات الشعرية و أجهزة تلقمها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام ، ط1 ، منشورات كلية الآداب بالعلوم الإنسانية (المغرب) ، 1995 م ، ص493
- ¹⁸ ديوان ابن خفاجة ، ص 113
- ¹⁹ إدريس بلمليح ، القصيدة التقليدية وقراءتها ، مطبعة أبي رقرق ، منشورات زاوية ، 2009 م ، ص 46
- ²⁰ ابن خفاجة، ديوانه، ص: 235
- ²¹ ابن خفاجة ، الديوان ، ص235
- ²² عبد الحميد هيمة ، النص الشعري بين النقد السياقي و النقد النسقي "قراءة في إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر " ، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي يومي 10/09 مارس ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011 م ،
- ²³ ابن خفاجة ، ديوانه ، ص : 44
- ²⁴ ابن خفاجة ، ديوانه ، ص : 42
- ²⁵ المصدر نفسه ، ص : 43
- ²⁶ ابن خفاجة ، ديوانه، ص : 44